الدرس 04: منهج البحث

عموما يشير منهج البحث إلى الإجراءات المنظمة التي يتبعها الباحث في سعيه للإجابة على التساؤلات بحثه والتحقق من فرضياته، والتي تضمن أقصى حد من الموضوعية والدقة.

وهناك تقسيمات عديدة لمناهج البحث، فعلى أساس طبيعة البيانات التي يتم تصنيفها إلى:

مناهج كمية تهدف إلى قياس الظاهرة موضوعة البحث	مناهج كيفية تهدف إلى فهم الظاهرة موضوعة البحث
بحوث تجريبية	البحوث اثنولوجية
بحوث سببية مقارنة (وصفية)	دراسة الحالة في البحوث الكيفية
بحوث ارتباطية (وصفية)	البحوث التاريخية
بحوث مسحية (وصفية)	البحوث التي تعتمد على المشاركة الطويلة والعميقة للباحث مع مجتمع بحثه

الفرق بينهما (عن Gaswell في: أبوعلام، 2009، ص280):

خصائص البحوث الكمية	خطوات عملية البحث	خصائص البحوث الكيفية
- تفسيرية ووصفية	تحديد وتعريف المشكلة	- استكشافية وتفسيرية
- دور أساسي في تبرير اختيار المشكلة وتحديد الحاجة إليها	مراجعة البحوث السابقة	- دور ثانوي في تبرير اختيار المشكلة
- محددة وضيقة - عدد كبير من الأفراد	اختيار العينة/المشاركين	- واسعة وعريضة - عدد محدود من الأفراد
- استخدام أدوات معدة مسبقا - بيانات رقمية - الحصول على بيانات قابلة للقياس والملاحظة	جمع البيانات	- استخدام البروتوكولات - نصوص مكتوبة أو مصورة - تعتمد أساسا على خبرات المشاركين
- تحليل إحصائي للبيانات - وصف الاتجاهات أو المقارنة بين المجموعات أو وصف العلاقات بين المتغيرات - مقارنة النتائج بنتائج البحوث السابقة	تحليل البيانات وتفسيرها	- تحليل المحتوى - وصف وتحليل لغوي - التركيز على المعنى الأكبر للنتائج
- يتبع أصول ومعايير محددة - موضوعي وغير متحيز	إعداد التقرير النهائي وتقويم النتائج	- مرن ومتطور - ذاتي ومتحيز

وهناك من يقسمها إلى: منهج تجريبيexperimental method ، منهج عياديclinical method ، منهج التحقيق survey method (Lavarde,2008 ,p135) .
ومن المؤلفين أيضا من يصنفها إلى (صابر&خفاجة، 2002): منهج تجريبي، منهج وصفي، منهج تاريخي.

المنهج التجريبي:

يعتبر أقرب المناهج للإجابة على التساؤلات بالطريقة العلمية الدقيقة، كما يعد المنهج الوحيد الذي يمكن من الاختبار الحقيقي لفرضيات السبب أو الأثر (صابر&خفاجة، 2002، ص57). يعتمد هذا الأخير على التجربة كمصدر للبيانات؛ حيث يتم التحكم في المتغيرات أو المتغيرات المستقلة (التجريبية) من طرف الباحث، ثم تلاحظ تأثيرات ذلك على المتغير أو المتغيرات التابعة. ويتم تقدير التغيرات التي تطرأ على المتغير أو المتغيرات التابعة اعتمادا على مقارنة الموقف التجريبي بموقف ضابط (Contandriopoulos&all, 1990, 34).

ضبط متغيرات التجربة:

تتعلق درجة دقة النتائج المحصلة من التجربة بدرجة ضبط الباحث للعوامل التي من شأنها أن تؤثر في المتغير التابع، وبالتالي تفتح مجال الشك في تأثير المغير المستقل لوحده. وعليه يسعى الباحث دائما عند اعتماده التجربة كوسيلة للتحقق من فرضياته أن يضبط ويتحكم في مختلف العوامل التي يمكن يكون لها دخل في حدوث الأثر. وتشمل هذه الأخيرة (صابر&خفاجة، 2002، صص 60-61):

- متغيرات مرتبطة بأفراد عينة البحث.
- متغيرات مرتبطة بالإجراءات التجريبية.
- بالمصادر الخارجية المؤثرة في التجربة.

وهناك بحوث تجريبية حقيقية وبحوث شبه تجريبية يميز بينهما اعتماد البحث التجريبي الحقيقي على التعيين العشوائي للمجموعات.

التصميم التجريبي الحقيقي (أبوعلام، 2009، ص211)

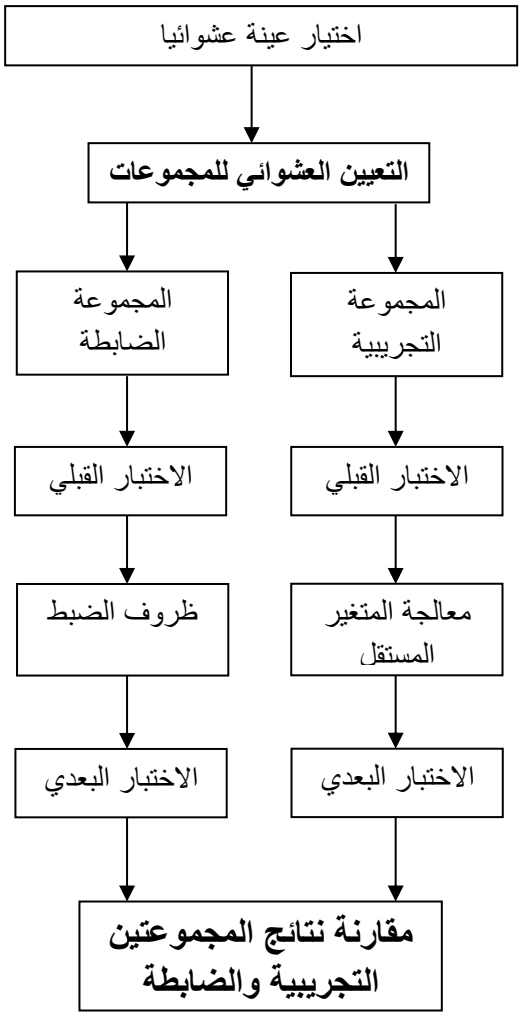

التصميمات التجريبية الحقيقية وشبه التجريبية (أبو علام، 2009، صص 214-226)

التصميمات التجريبية الحقيقية	التصميمات شبه التجريبية
تصميم المجموعة الضابطة مع اختبار قبلي-بعدي	تصميم المجموعة الواحدة مع اختبار قبلي-بعدي
تصميم الاختبار القبلي-البعدي مع 3 مجموعات تجريبية	
تصميم الاختبار القبلي-البعدي مع 3 مجموعات تجريبية ومجموعة ضابطة	

تصميم المجموعة الضابطة مع اختبار بعدي فقط	تصميم الاختبار البعدي الوحيد مع مجموعة غير متكافئة
تصميم الاختبار البعدي الوحيد مع 3 مجموعات تجريبية	
السلاسل الزمنية لمجموعة واحدة	
السلاسل الزمنية مع مجموعة ضابطة	تصميم الاختبار البعدي الوحيد مع مجموعتين تجريبيتين غير متكافئتين
تصميم الفرد الواحد	

المنهج وصفي Méthode descriptive

أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد عبر فترة أو فترات زمنية معلومة وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطريقة موضوعية تنسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة (عبيدات وعدس وعبد الحق، 1982 في الجديلي، 2011، ص25)

ويتسم المنهج الوصفي بالعلمية لأن فيه تفسير وتحليل للظاهرة وعمق في النتائج، مما يساعد في صياغة قوانين علمية أو نظرية، كما يتميز المنهج الوصفي بالواقعية؛ إذ يدرس الظاهرة كما هي في الواقع ويوظف مختلف الأساليب المناسبة من كمية وكيفية للتعبير عن الظاهرة وتفسيرها، سعيا إلى فهمها وتحليلها. والتعبير الكمي عن الظاهرة المدروسة يوضح مقدارها أو حجمها ودرجة ارتباطها بالظواهر الأخرى، أما التعبير الكيفي فيصف الظاهرة ويوضح خصائصها (الرفاعي، 1998 في الجديلي، 2011، ص26).

خطوات المنهج الوصفي

1. الشعور بالمشكلة وجمع البيانات والمعلومات التي تساعد على تحديدها.
2. تحديد المشكلة وصياغتها في سؤال محدد أو أكثر من سؤال.
3. صياغة الفرضية أو الفرضيات التي تجيب مؤقتا عن سؤال البحث.
4. اختيار العينة التي سيجرى عليها البحث، وتحديد حجمها ونوعها، وأسلوب اختيارها.
5. اختيار أدوات جمع البيانات والمعلومات المناسبة لطبيعة المشكلة والفروض كالمقابلة والاستبيان والملاحظة... ثم العمل على التأكد من صدق وثبات الأدوات المختارة.
6. جمع المعلومات بدقة وتنظيم.
7. الوصول إلى النتائج، وتنظيمها، وتصنيفها.
8. تفسير النتائج واختبار الفرضيات مع الرجوع إلى أدبيات البحث وإلى الدراسات السابقة للتعرف على مدى اتفاق نتائج البحث مع نتائج البحوث السابقة والعمل على تفسير أسباب الاتفاق أو الاختلاف.

أنماط البحوث الوصفية

1. **البحوث المسحية Survey Studies**

يقوم الباحث في هذا النوع من البحوث بتحديد مجتمع البحث أولا؛ أي المجتمع الذي يوجه إليه البحث، والذي يطلق عليه أيضا تسمية "المجتمع الأصلي للبحث".

في حالة تناول الباحث لكل أفراد هذا المجتمع بالدراسة، يسمى هذا المسح "تعدادا"، أما في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل أفراد المجتمع الذي حدده الباحث، فإنه يضطر للاعتماد على عينة من مجتمع البحث/الدراسة، ويسمى البحث المسحي الذي يتناول عينة من المجتمع "بمسح العينات" (أبو علام، 2006، 257).

وتصنف البحوث المسحية وفقا لزمن جمع البيانات أيضا إلى بحوث طولية وبحوث عرضية؛ تتميز البحوث المسحية الطولية بجمع الباحث لبيانات على فترات زمنية مختلفة لدراسة التغير على مدى مدة زمنية طويلة، كدراسة خاصية ما لدى فئة معينة وتتبع تطورها

لديهم من سنة إلى أخرى. ويستخدم هذا النوع من البحوث ثلاثة أنواع من التصميمات: المجموعة المختارة، ودراسة التوجهات، ودراسة المجتمع الخاص.

أما البحوث العرضية، فتعتمد على دراسة مقطع (عينة) من مجتمع البحث في فترة زمنية محدودة، كأن تدرس الخاصية المذكورة آنفا لدى مجموعات من الأفراد من أعمار مختلفة في نفس الفترة الزمنية دون تتبعهم طوليا(أبو علام، 2006، ص ص260، 261، 263).

2. **البحوث الارتباطية** Correlation Researches

تدرس البحوث الارتباطية العلاقات بين المتغيرات (اثنين فأكثر)، أو تتنبأ بحدوث متغيرات انطلاقا من متغيرات أخرى و ذلك اعتمادا على معاملات الارتباط وأساليب إحصائية متطورة أخرى كتحليل الانحدار المتعدد، والتحليل التمييزي، والتحليل العاملي...، ويجب التمييز بين العلاقات الارتباطية بين متغيرين والعلاقة السببية بينهما، التي لا يمكن تحديدها إلا بالبحوث التجريبية(أبو علام، 2006، ص239).

3. **البحوث السببية المقارنة** Comparative Researches

تهدف هذه الأخيرة إلى تحديد أسباب الفروق الملاحظة في سلوك أو خصائص مجموعة من الأفراد. ويطلق على هذا النوع من البحوث أحيانا اسم "ما بعد الواقع Ex post facto" من منطلق أن العلة والمعلول قد حدثا مسبقا، ويحاول الباحث دراستها تراجعيا.

وتشبه البحوث السببية المقارنة البحوث الارتباطية في كونها لا يشملان معالجة تجريبية، وفي كونها يمهدان الطريق لإجراء بحوث تجريبية من خلال تحديد المتغيرات التي تستحق الدراسة التجريبية وبالتالي فهما يقللان من تكاليف البحوث التجريبية. لكنهما يختلفان فيما يلي:

البحوث السببية المقارنة	البحوث الارتباطية
تسعى لتحديد علاقات العلة والمعلول (السببية) رغم أنها لا تضمن الوصول إليها.	لا تحاول تحديد علاقات العلة والمعلول (السببية)
توجد مجموعتان أو أكثر ومتغير مستقل واحد	يوجد متغيرين أو أكثر دون تحديد واضح لمتغير مستقل ومتغير تابع
تتضمن مقارنة بين مجموعات أو متغيرات	تدرس الارتباط بين المتغيرات

وتشبه ظاهريا البحوث السببية المقارنة البحوث التجريبية من حيث أن كلاهما يسعى إلى دراسة علاقات السببية، وكلاهما يشمل المقارنة بين المجموعات؛ إلا أن هناك اختلافات جوهرية بينهما، حيث:

البحوث السببية المقارنة	البحوث التجريبية
يلاحظ الأثر (أي الفروق بين المجموعات) أولا ثم يحاول الباحث تحديد السبب الذي أدى إليه (ها).	تصمم مجموعات تشمل نسبا مختلفة من السبب(المغير المستقل) أولا ثم يلاحظ أثر هذا الاختلاف على المتغير التابع.
ليس هناك أية معالجة تجريبية، تتم فقط ملاحظة حدوث المتغير المستقل.	يتعرض المتغير المستقل للمعالجة التجريبية.
المجموعات موجودة مسبقا.	الاختيار العشوائي للمجموعات لضمان التكافؤ.
الفروق بين المجموعات ليست من صنع الباحث (مستويات المتغير المستقل)	الفروق بين المجموعات من صنع الباحث (مستويات المتغير المستقل)
تسمح بدراسة المتغيرات المستقلة من النوع الذي لا يمكن معالجته (المستوى الاقتصادي والاجتماعي) أو لا يجب معالجته أخلاقيا(التدخين، الإدمان، الإهمال).	تشمل المتغيرات المستقلة من النوع الذي يمكن معالجته ومسموح أخلاقيا معالجته.

تصميم البحث السببي المقارن أساسه مجموعتان من الأفراد تختلفان في أحد المتغيرات المستقلة، ويقارن فيما بينها على مستوى أحد المتغيرات التابعة.(أبو علام، 2006، صص227-229 بتصرف). لكن توجد تصميمات يمكن من خلالها تبين السبب الذي أدى إلى الفروق الملاحظة في المتغير التابع.

	نوع التصميم	يرتكز على أن
1	الاتفاق	السبب والنتيجة متلازمان في الوقوع (كلما ظهر س ظهر ع يعني أن س يؤدي إلى ع).
2	الاختلاف	غياب السبب يؤدي إلى غياب النتيجة (كلما غاب س غاب ع يعني أن س يؤدي إلى ع).

3	التلازم في الوقوع وفي التخلف	السبب والنتيجة متلازمان في الوقوع وفي الغياب (كلما ظهر س ظهر ع+كلما غاب س غاب ع يعني أن س يؤدي إلى ع).
4	التغير النسبي	تغير السبب يؤدي إلى تغير النتيجة (كلما تغير س تغير ع يعني أن س يؤدي إلى ع).

(صابر&خفاجة، 2002، ص 105 بتصرف)

4. **بحوث دراسة الحالة** Case Study Researches

الحالة هي وحدة اجتماعية قائمة بذاتها، قد تكون فردا، أو أسرة، أو قبيلة، أو قرية، أو نظاما، أو مؤسسة، أو مجتمعا محليا، أو مجتمعا عاما. وبحوث دراسة الحالة هي بحوث تعتمد على الدراسة المتعمقة لهذه الوحدات الاجتماعية ككلية، ثم تبحث في جزيئاتها من حيث علاقة هذه الأخيرة بالكل الذي يحتويها، والكشف عن العلاقات بين أجزاء الوحدة، أو تحديد العوامل المؤثرة في الوحدة المدروسة.

حيث يتم جمع بيانات مستفيضة عن الوضع الحالي للوحدة، وتاريخها والخبرات التي مرت بها، وعلاقاتها مع البيئة، ثم تحلل النتائج بموضوعية بهدف الوصول إلى تعميمات يمكن تطبيقها على الوحدات المشابهة في المجتمع الذي تنتمي إليه الحالة/الوحدة بشرط أن تكون ممثلة للمجتمع الذي يراد تعميم الحكم عليه.

وسائل جمع البيانات في دراسة الحالة متعددة، قد تشمل: المقابلات (مع الأفراد، والمحيطين)، السجلات المتنوعة (الصحية، المدرسية، المهنية...)، والوثائق المختلفة (المذكرات، الرسائل...)، الاختبارات والمقاييس (الجسمية أو النفسية أو الاجتماعية...)، والملاحظة، والاستبيانات(صابر&خفاجة، 2002، صص 96،97،98 بتصرف).

5. **بحوث تحليل العمل** Job Analysis Researches

تعتمد هذه البحوث على تحليل العمل، من خلال وصف وتحليل مفصل ودقيق لكل ما يقوم به العامل خلال عمله من:

- أنشطة، ومهام، وواجبات، ومسؤوليات،
- طرق العمل، ووتيرتها، والوسائل، والأدوات، والأجهزة، والمواد التي يستخدمها العامل،
- الخصائص الفيزيقية للمكان الذي يعمل فيه (المساحة، الشكل، الأبعاد، لون الطلاء، التهوية، الحرارة، البرودة، الغبار...)،
- المخاطر التي يمكن أن يتعرض إليها العامل،
- المناصب التي يتواصل معها خلال عمله (عموديا وأفقيا)، وطبيعة هذا الاتصال، ووتيرته، وكيفيته...وغيرها من البيانات و المعلومات التي تعطي صورة واضحة ودقيقة حول هذا العمل، تخدم أغراضا متعددة كاستخراج الخصائص التي يجب أن تتوفر في الشخص الأنسب للقيام بهذا العمل، وبناء برامج تدريبية مناسبة، وإجراء تحسينات على ظروف ووسائل العمل، وتصميم برامج أمن وسلامة فعالة، وتحديد هياكل عادلة للأجور...

ومن الأدوات التي تستخدم في تحليل العمل: الملاحظة، والمقابلة، والاستبيان، والاختبارات المختلفة.

6. **بحوث تحليل المضمون** Contenant Analysis Researches

تحليل المضمون هو اتصال غير مباشر بالأفراد من خلال الاكتفاء بالرجوع إلى الوثائق والسجلات والمقابلات التلفزيونية والصحفية المرتبطة بموضوع الدراسة. فالباحث بعد اختيار الوثائق والسجلات المناسبة يقوم بتحليلها مستندا إلى البيانات الصريحة الواضحة المذكورة فيها. ويستند هذا الأسلوب إلى القناعة التي تقول بأن اتجاهات الجماعات والأفراد تظهر بوضوح في كتاباتها وآدابها ومقابلاتها الصحفية وفنونها. ويتعين على الباحث التأكد من صدق تمثيل الوثيقة أو السجلات المستخدمة في التحليل سواء كان من حيث أهميتها أو أصالتها أو موضوعيتها (عبيدات وعدس وعبد الحق، 1998في الجديلي، 2011، صص33-34)

المنهج العيادي méthode clinique

تم استخدام مصطلح "المنهج العيادي في علم النفس" لأول مرة سنة 1896 من طرف عالم النفس الأمريكي ل.وينتر L.Winter (وهو تلميذ فوندت)، الذي طوره لأغراض عملية وقائية. وعلى الرغم من تميز علم النفس العيادي بشكل أساسي بالدراسة المعمقة لحالات فردية، إلا أنه لا يقتصر عليها، بل يشمل عدة مناهج تختلف باختلاف المقاربة التي المعتمدة (تحليلية، فينومينولوجية، نفس-عصبية، معرفية، نسقية، نفس-اجتماعية).

ومنذ 1947 صار البحث بعدا مركزيا في المنهج العيادي، مساهما بذلك في بناء المعرفة العلمية. فمن خلال الدراسة المعمقة للفرد أو الأفراد في المواقف وخلال التفاعلات يهدف المنهج العيادي إلى:

- فهم دينامية الإنسان وسيروراته النفسية، وبالتالي إلى إنتاج معارف جديدة حولها.
- تجنب التعقيد الذي يطرحه تناول الفرد كاملا في الموقف بتجزئة موضوع البحث وتحديده بدقة في شكل تصور، سلوك، دينامية نفسية داخلية.
- التركيز على البحث عن الفهم وليس البحث عن السببية.
- تحديد الحقائق، ووصفها، واستخراج عوامل تفسيرية، تركز على فهمها أكثر من إعادة إنتاجها. (مثال: فهم معنى الصعوبات العلائقية أم-وليد في حالات الولادة المبكرة)
- إيجاد روابط بين مختلف الظواهر، والاتجاهات، و/أوالسلوكات.
- استخراج سيرورات عامة بهدف نمذجتها.
- وصف خصائص ظاهرة ما، أو مجموعة من الأفراد من خلال تتبعها طوليا بغرض تبيان تطور هذه الخصائص(تتبع خصائص الأطفال ضحايا العنف العائلي).
- مقارنة الفرد بذاته من خلال تتبع حالته على مدى فترة زمنية طويلة (Lavarde, 2008, pp140, 141,144,145).

وعلى الرغم من أن الشائع عن المنهج العيادي هو استخدامه لدراسة الحالة والمقابلة كأهم أساليب وتقنيات جمع البيانات إلا أن واقع الأمر يعكس غير ذلك، فالمنهج العيادي يمكن أن يعتمد في جمع البيانات على عدة تقنيات أخرى إضافة إليها كالملاحظة، والاختبارات والمقاييس المختلفة، والسجلات والوثائق...وغيرها.